في الذكرى الخامسة للبيعة:

من مآثر الملك عبدالله بن عبدالعزيز

بقلم د. كمال عمران(×)

يمثل الملك عبدالله بن عبدالعزيز رمزاً من رموز السياسة في البلاد العربية والإسلامية وكذلك على الصعيد الكوني، فهو خادم الحرمين الشريفين وله إسهامات في تنظيم مناسك الحج والعمرة مشهود بها، ولعل من أبرزها الترتيب القائم على هندسة رفيعة وعلى تنظيم جليل لرمي الجمرات بشكل انتفت معه أية معضلة تهدد حياة الحجيج وتتصل بأمنهم وتخيف السلم الذي يبتغونه في البلد الأمين، وإذا أضفنا التوسيع المشهود الذي سيمس الحرم المكي بطريقة ستضمن لملايين الحجيج إقامة الصلاة والطواف براحة ميزان حسناتها يعود إلى خادم الحرمين الشريفين، وهل يجوز في هذا السياق أن نغفل عن البنية التحتية التي شملت مكة المكرمة والمدينة المشرفة فضلاً عن الطرق السيارة التي حظيت بها المملكة في كل جهاتها.

إن التذكير بهذه المآثر لهو من اليسير الذي أشرف على إنجازه الملك عبدالله، وإنه فضل يعود إلى السعوديين وإلى كافة المسلمين على حد سواء، وفي هذا رؤية ثاقبة وحنكة في السياسة مبينة تميّز بها الملك فكانت ظلالها ممتدة في المكان وفي الزمان.

ومن أبرز المآثر السياسية التي كتبت في سجل إنجازات الملك عبدالله بخط من ذهب الطريقة التي بها عالج ظاهرة الإرهاب وبها قاوم العفن الفكري الذي ظهرت نتوءاته في المملكة جراء عمل إجرامي توهم أن في القتل سبيلاً إلى الجنة، وما زال الملك يذود عن حمى المملكة وعن إرساء الثقافة الإسلامية الأصيلة، فكان ردّه بشكلين متكاملين، الشكل الأول جاء قطعاً لدابر الإرهاب بفضل قوات الأمن السعودية وقد أثبتت قدرة في التصدي للعمل الإرهابي أصبحت بها كالأنموذج على الصعيد الدولي يؤخذ به وينحو أهل الذكر منحاه في مقاومة الداء العضال؛ وهذا من مميزات الحزم السياسي لدى الملك عبدالله.

أما الشكل الثاني فيتمثل في إضفاء الطابع العلمي على الثقافة الإسلامية لبيان فكر إصلاحي دعمه الملك عبدالله بمسلك اختباري دعا له عدداً من العلماء في مؤتمرات نظمت في المملكة وخارجها، وقد قامت على دعم قيمة التسامح والوسطية والاعتدال فضلاً عن تأكيد قيمة جليلة تتمثل في المغايرة؛ وهي احترام الآخر في أفكاره وفي نمط عيشه رغم كونه مختلفاً عنا، فكانت الدعوة إلى التأسيس لثقافة منفتحة عماداً في هذا الإصلاح الثقافي، ولا يخرج الانفتاح عن قواعد ثلاث:

١ - الامتلاء بالثقافة الإسلامية وهو يعني التفقه في الدين ولا سبيل إلى اكتساب الثقافة المنفتحة إلا بمعرفة التراث معرفة دقيقة تثبت الهويّة المنفتحة وتبين عن طاقة على فهم التراث وحسن استثماره في الراهن، هذا العنصر الأول هو من قبيل احترام الذات علمياً ومعرفياً.

٢ - معرفة ثقافة الآخر باكتساب الآليات اللازمة من قبيل معرفة اللغة وحذقها والتبليغ بها وإن في معرفة لغة الغير سبيلاً إلى حسن التعامل معه؛ وهذا يعني أن للغة الإنجليزية والإسبانية والفرنسية.. طريقاً إلى معرفة ثقافة الغير؛ وفي ذلك بناء جسور السلام الثقافي ولمَ لا السياسي؟

٣ - تعريف الآخر بالثقافة الإسلامية وهذا يعني إبطال كل الذرائع المؤدية إلى سوء الفهم وإلى المعاداة كما يعني توفير الصورة الصادقة عن الثقافة الإسلامية وإن الحاجة إلى هذه الغاية تحتاج إلى آليات وإلى وسائل وطرق لا بد للمنظمات السعودية أولاً والعربية الإسلامية أن تنجح في بعثها.

ومن حسن السياسة عند الملك عبدالله المواقف التي أسسها لخدمة القضية الفلسطينية مادياً وذهنياً وهي قائمة على مفهوم للعدل سيّر الرؤى المنبثقة عن تجربة حكيمة وعن دراية بالواقع السياسي وبالممارسات المتصلة به وبالتجربة في العلاقات الدولية كانت لديه كالعروة الوثقى يمتد الحبل فيها من الحق ليعود إلى العدل وهو ما ينم عن عزة بالله تبارك وتعالى وعن ثقة بالنفس موصولة إلى حسب ونسب يغذيها عقل سياسي متين استطاع به الملك عبدالله أن يرسم المثال للقضية الفلسطينية رسماً لصالح الفلسطينيين رغم الانقسام الذي دب في أوصالهم.

هذا الدأب هو القائم المشترك في مواقف الملك عبدالله القطرية والكونية فقد جعل من سياسة المملكة رمزاً للحكمة والاعتدال مما بوّأها مكانة رائدة في المجتمع الدولي.

(×) مدير عام إذاعة الزيتونة للقرآن الكريم وأستاذ جامعي بـ (تونس)